العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر ٤٦٢١٢٢٣ ٤٦٢٦٢٤١
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ١١، ١٢ س ٢٦ الجماديان سنة ١٤١٢ هـ - تشرين ٢/كانون ١ (نوفمبر/ ديسمبر) ١٩٩١ م

أوهام في فهارس المخطوطات تحـول دون الاهتمام بهـا

لكثير من واضعي فهارس الكتب العذْرُ في عدم إدراكهم لكثير من المعلومات المتعلقة بما يصفون منها ، فجلُّهُم - إن لم يكن كلهم - لم يكن أثناء عمله مُتَّجِهًا اتجاهًا تامًّا لما يقوم به من عمل بَلْ قد يمارسه بعد فراغه مما يراه أهم منه وأولى، مما صرف فيه نشاطه واتجاهه التام ، هكذا أدركت بعض الإخوة الذين قاموا بترتيب فهارس المؤلفات المصورة في (معهد المخطوطات) يضاف إلى هذا أن الصورة نفسها للكتاب قد تخفى فيها بعض المعالم التي تَبْدُو في الأصل واضحة في تمييزه .

ولا يقتصر هذا الأمر على اؤلئك الإخوة ، بل يشمل كثيرين ممن عُنُوا بهذا الجانب الثقافي قديماً ، فالمفهرس - وإن كان ينقل أكثر ما ينقل عن فهارس موضوعة ، وعن معنيين بهذا الشأن ممن يتصل بهم ، إلاَّ أنه بحكم اتجاهه للدراسة والبحث يحاول الاستقصاء وأن يكون ما يقدم محلاً للثقة والاعتماد ، مع كل هذا يقع في كتابه كثير من الهفوات التي لم يدركها من جاء بعده من واصفي الكتب . فيقعون فيما وقع فيه ، بل ليس من المبالغة القول بأن جُلَّ أخطاءِ مفهرسي الكتب في عصرنا ناشئٌ عن اعتماد بعضهم على بعض ، وعن الرجوع في كثير من الأحيان إلى (بروكلمان) وأمثاله .

وليس المقام مقام تَفصيلِ مَا هُوَ من هذا القبيل ، ولكن لا بُدَّ من الإشارة إلى شيء منه بإيجاز .

١ ـ « تاريخ المستبصر » ليس لابن المجاور الدمشقي المعروف بل لرحالة فارسي مجهول :

(١) قام رحالة فارسي يُدْعى ابن المجاور واسم أبيه محمد بن مسعود بن علي النيسابوري ، فألف كتابًا عُرِفَ بـ « تاريخ المستبصر » وصف فيه مشاهداته أثناء رحلة قام بها من الدَّيْبُلِ سنة ٦١٨ إلى الحجاز فاليمن ، وتحدث عن أهم المدن التي زارها كجدة ومكة وعدن وزَبيد وغيرها ، وعُرِفَ هذا الكتاب بالاسم عند بعض مؤرخي اليمن كالخزرجي والعيدروس وغيرهما . فوردت منه إشارات موجزة في بعض مؤلفاتهم . وَوُجِدتْ له مخطوطة وحيدة في مكتبة (أياصوفيا) في اسطنبول ، تاريخ نسخها ٢٨ ذي القعدة سنة ١٠٠٣ هـ رقمها في المكتبة (٣٠٨٠) كتب في طرتها : (تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ . . . يوسف ابن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي) فما كان من (بروكلمان) حين وصف الكتاب إلاَّ أنْ نسبه إلى هذا الشيخ المحدِّثِ ، اعتماداً على ما كتب في طرته ، بدون تثبت أو تمحيص أو استدلال بحداثة الكتابة على عدم الوثوق بها . ـ فما دامت جملة (قال ابن المجاور) تتكرر في الكتاب فليكن ابن المجاور المعروف ، مع أنَّ المعروفين بابن المجاور من العلماء عَدِيْدُون[١] .

ثم جاء أستاذنا خير الدين الزركلي ـ رحمه الله ـ فنسب الكتاب إلى ابن المجاور المحدث الدمشقي (٦٠١/٦٩٠ هـ) حين ترجمه في « الأعلام » وتواطأ على ذالك كل من وصف الكتاب ، حتى جاء المستشرق المعروف (أوسكارلوف جرين) فنشر الكتاب منسوباً إلى ابن المجاور الدمشقي ، وأُعيد تصوير طبعة المستشرق ، فانتشر حتى أصبح بعضهم يكابر في صحة النسبة ، ما دامتْ صادرة عن عالمين جليلين الزركلي و (لوفجرين) ولو فتح صفحات الكتاب أحدُ المعنيين بالبحث والتثبت لأدْرك لِأوَّلِ وَهْلَةٍ أن مؤلف الكتاب لا يمت إلى ابن المجاور الدمشقي بأية صلة ، وكنت قد لاحظت هذا قبل نشره بزمن ، ثم أدركه ونَبَّه عليه الأمير عبد القادر الحسني حين قرظ الكتاب في مجلة (المجمع العلمي العربي) بدمشق .

٢- ليس المؤلف التلمساني بل عالم أندلسي قبله بثلاثة قرون:

وها أنا اتصفح نسخة من « فهرس المخطوطات المصورة » التي أكرمني بها (معهد المخطوطات) وهي من منشوراته سنة ١٩٨٨[٢] - فأقرأ - ص ٦٥٧ : (وصف مكة والمدينة وبيت المقدس : تأليف محمد بن أبي بكر التلمساني ، نسخة كتبت سنة ٦٧٦ بقلم أندلسي واضح ، بخط المؤلف) فأتذكر أنني كنت صورت الرسالة من مكتبة (الأسكوريال) وعُنِيْتُ بدراستها ، ونشرتها في مجلة « العرب »[٣] واتضح لي خطأ (بروكلمان) حين نسبها لأبي بكر بن محمد التلمساني ، فهذا هو ناسخ الرسالة وما معها من الرسائل ، كما اتضح لِي أن مؤلفها من أهل القرن الرابع الهجري - لا السابع - فقد صرح باسم أمير مكة أثناء وجوده فيها ، وأنه (جعفر وهو أبو الحسن الذي كانت إمارته في منتصف القرن الرابع إلى سنة ٣٨٤) كما ذكر أن الخزاعي حدثه بأخبار تتعلق بتاريخ مكة ، والخزاعي هذا أحد رواة كتاب « أخبار مكة » للأزرقي وهو في الغالب محمد بن نافع ، وكان حَيًّا سنة ٣٥٠ وترجح لَدَيَّ أن مؤلف تلك الرسالة هو الْبَلْدِي - باسكان اللام - الأندلسي سعد بن محمد بن سعد - رحل إلى المشرق سنة خمسين وثلاث مئة ، وأخذ عن علماء مكة ومنهم محمد بن نافع الخزاعي حين دخلها سنة[٤] ٣٥١ - وقد توفي الخزاعي سنة[٥] ٣٩٧ .

٣- إنه مختصر عبد الحق الإشبيلي (٥١٠/٥٨١ هـ) :

وعُنِيت منذ أكثر من ثلاثين عاماً بالبحث عن كتاب الرشاطي « اقتباس الأنوار ، والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الأخبار » لاشتغالي بجمع ما يتعلق بأبي على هارون بن زكريا الهَجَري من معلومات[٦] ، وكتاب الرشاطي هذا يُعَدُّ ذخيرة عن الهجري بما نقله عنه في الأنساب . ويعجب الباحث حقًّا حين يتلمس أنباء علماء الجزيرة الأقدمين - كالهجري والهمداني - في المؤلفات الأندلسية ، مما لا يجد له أثراً في المؤلفات المشرقية ، ويزدادُ عجبه حين يعلم أن الهجري والهمداني وهما متعاصران في آخر القرن الثالث وأول القرن الرابع - عُرِفَا بين علماء الأندلس قبل أن يُعْرَفَا لدى علماء المشرق بزمن ، واستفاد أولئك

بعلمهم ، بينما كان هاؤلا عالة في ذالك بالتَّلَقِّي عنهم .

وأثناء زيارتي لمعهد المخطوطات في القاهرة في شهر شوال سنة ١٤١١ هـ علمت بوجود مختصرين لكتاب الرشاطي ، ها هو وصفهما . كما ورد في « فهرس المخطوطات المصورة » التاريخ ـ(٧) وضع الأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية (مختصر اقتباس الأنوار . . . للرشاطي : عبد الله بن علي ابن عبدالله اللخمي المتوفى سنة ٤٦٦ اختصار الحافظ ابي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الاشبيلي (كشف الظنون : ١/١٣٤) فيه نقص من أوله وفي اثنائه ومن آخره .

وينتهي إلى اليماني واليمنيّ وبه خروم في مواضع بخط اندلسي في ٢٢٥ ورقة). صديقنا الأستاذ فؤاد ـ رحمه الله ـ له العذر كلُّ العذر حين يكتب ما يكتب عن وصف هذه الكتب كما يبدو منها ، وقَدْ أَمَدَّ الباحثَ بما استطاع إمداده به ، مما يتعلق ببغيته ومن منحك ما يقدر عليه لم يبخل عليك ، وهنا وقفات حول هذا التعريف بهذه المخطوطة : الأولى : أن الرشاطي لم يُتَوَفَّ سنة ٤٦٦ ـ بل هذه سنة ولادته ، ولعل من المناسب الاستطراد بذكر طرف من ترجمته كما وردت في مختصر عبد الحق الاشبيلي لكتابه « اقتباس الأزهار » قال في رسم (الرشاطي) ما نصه : قال أبو محمد الرشاطي : هذه نسبتنا التي اشتهرنا بها ، وذلك أنَّ أحد أجدادي كانت به شامة كبيرة هي التي تعرف بالوردة وتسميها العجم (روشه) وكان له في صغره خادم عجمية ، تحضنه وتكفله ، فكانت عندما تحدثه وتلاعبه تقول له : (رشطانه) وكثر ذالك منها حتى غلب عليه وقيل له الرشاطي ، وهذه الشين ليست بخالصة ، بَيْنَ بَيْنَ الشين والزاي والجيم ، فهي تكتب بذالك غَيرأن الذي توارثنا كَتْبُهَا بالشين ، وأنا عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف ابن أحمد بن عمر اللخمي ثم الرشاطي ، مولدي بـ (أوريوله) إحدى مدن (تُدْمَيْر) وقد ذكرتها في حرف الهمزة ـ ولدت صبيحة يوم السبت لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربع مئة ، وكتب هذا في شوال سنة سبع وعشرين وخمس مئة ، نشأْتُ بـ (اْلمَرِيَّة) نقلت إليها من ستة أعوام وأنا الآن بها بأهلي وولدي ، عنيت في شبيبتي بقراءة الأدب ، ثم مِلْتُ إلى طلب الحديث ،

وأخذت عن الفقيه الحافظ قاضي القضاة ، أبي علي حسين بن محمد بن مَيْسَرة الصدفي ، وعن الإمام الحافظ أبي على الحسن بن محمد الْغَسَّاني ـ رحمهما الله ـ وهما أَجَلُّ من كان بعصرهما في هذا الشأن ، وأخذتُ عن جماعة غيرهما ، واستجزت من علم اللغة بالمكاتبة فجمعت كثيراً ، والحمد لله الهادي للإسلام ، الموفق لخدمة حديث محمد نبيه عليه أفضل التحية وأفضل السلام) .

انتهى وقد نقلته بطوله لعل فيه ما يحسم الخلاف في نسبة (الرشاطي) معنى ولفظا ، وهو خلاف امتد منذ ظن بعضهم أن (رشاطة) بلدة في العدوة[٨] ، وتأثر به ابن خلكان فلم يقنعه قول الرشاطي نفسه[٩] ، وكرره صاحب « تاج العروس »[١٠] ووصفه صاحبنا الأستاذ الباحث عبد القادر زمامة بأنه (بَيْنَ الأئمة قديم شهير) .

ويبقى الحديث عن كتابه وعن مؤلفاته الأخرى ، وذالك ما أُرْجِئُهُ لوقت آخر .

أما تاريخ وفاته فقد قتل شهيدًا اثناء استيلاء الأسبان على المريّة في صبيحة الجمعة عشرين جمادى سنة ٥٤٣ (ثلاث وأربعين وخمس مئة)[١١] .

الوقفة الثانية : ليس اسم مؤلف المختصر (عبد الله) بل (عبد الحق) ولكن كتابةَ الكلمة في الأصل لم يتضح منها سوى (عبد) وكلمة (الحق) بالخط المغربي قد تشتبه على من ليس لديه مِرَانٌ ومعرفة بكلمة (الله) وفي أثناء الكتاب ورد الاسم صريحاً (قال عبد الحق) ومن أمثلة ذالك :

١ ـ في رسم (اليعمري) في كنانة وفي ربيعة بن نزار ـ ثم تحدث عن الذي في كنانة ـ وقال بعد ذالك : (قال عبد الحق : لم يذكر الذي في ربيعة بن نزار ، أو لعله سقط من هذه النسخة ، وهو يعمر بن مالك ـ إلى أن قال ـ : وهم عندنا بالأندلس ، أفادنيه شيخ من شيوخهم العالمين بهم وبأنسابهم) ثم ذكر اسم الشيخ ونسبه .

٢ ـ على كلمة (القسي) : (كذا وقع في هذه النسخة التي كانت عندي القسي والقس ، أظنه موضع تنسب اليه الثياب القسية) وفي الهامش بخط قديم يظهر

أنه خط العيني محمود المؤرخ العالم المشهور صاحب المخطوطة : (القائل أظنه عبد الحق) . وقد يجد الباحث نصوصًا أخرى تؤيد الاعتقاد والجزم بأن مؤلف هذا المختصر هو عبد الحق الإشبيلي .

الوقفة الثالثة : لا يُدَاخِلِ من اطلع على ما كتب في طرة الجزء الأول من هذه المخطوطة وفي خاتمتها شَكٌّ أن مختصرها هو (الامام المحدث أبو محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي) وفي الخاتمة وصف بـ (الحافظ الزاهد أبي محمد الإشبيلي) وهو العالم الأندلسي الشهير المعروف بابن الخراط (٥١٠/٥٨١هـ) صاحب كتاب « الأحكام الشرعية » فقد نَصَّ مترجموه على انه اختصر « أنساب الرشاطي » بل قال الغبريني ، في « عنوان الدراية » عن هذاالمختصر (هو أحسن من الأصل)[١٢] ولعل حُسْنَهُ ناشئٌ عن خُلُوِّهِ مما وقع في أصل الرشاطي من إيراد بعض الأخبار التي اتخذ منها بعض معاصريه مَدْخَلاً لنقده[١٣] ـ وهي مما يتورع بعضهم من إيرادها .

الوقفة الرابعة : هذه المخطوطة الأزهرية من مختصر عبد الحق الإشْبيلي لأنساب الرشاطي ـ جليلة القدرِ ، بِمَا وضع في هوامشها من إضافات وتصحيحات ، ثم هي كانت من كتب أحد أجلة العلماء ، ولَعله هو الذي علق تلك الإضافات أو بعضها ، ففيها ما تتشابه كتابته بكتابة الأصل بالخط المغربي ـ إنَّ صاحبها هو العالم المصري الشهير العيني محمود بن أحمد بن موسى (٧٦٢/ ٨٥٥هـ) وقد كتب في طرتها : (وقفه مُسَطِّرُه محمود العَيْني الحنفي ، وشرطه في كتاب الوقف ومقره مدرسته) وكان قد أنشأ مدرسة مجاورة لمنزله قرب الجامع الأزهر ، أوقف عليها كتباً كثيرة ، كما ذكر السخاوي[١٤] ، ويبدُوْ أَنَّ بعضَ التعليقات التي في هوامش المخطوطة منقولة من أصلِ كتاب الرشاطي ومن أمثلتها : (لم يذكر الْمَعْوليِ ومَعْولَةَ ـ بفتح الميم ـ بن شُمْس ـ بضم الشين ـ بن عمرو) وساق النسب إلى الأزد إلى أن قال : (والنسب هذا منقول من كتاب . . . للرشاطي) ومنها (الغامدي : أنشد في الكبير : .

تلافَيْتُ شرًّا كَانَ بَـيْنَ عَشِيْرَتِي فَسَمَّانِيَ الْقَيْلُ الْحَضُورِيُّ غامِـدَا

وفي (الغوثي) ـ بعد نَقْلٍ عن ابن دُرَيْد ختم بكلمة (عن الكبير) وفي (القضاعي) الحديث عن الكبير : من روايته . . .) وقد يختم النقل بحرف (ك) أو (أصل).

الوقفة الخامسة : جاء في وصف الجزء الثاني من هذه المخطوطة[١٥] : (وينتهي إلى اسم اليماني واليمني ، وبه خروم في مواضع ، بخط أندلسي في ٢٢٥) .

هذا الجزء الموصوف يقع في (١٢٧) ورقة ـ لا (٢٢٥) وحرصت على تتبع اتصال الصفحات فلم تقع عيني بينها كلها على (خروم) . ولعل السرعة مني أو من الصديق الأستاذ فؤاد ـ رحمه الله ـ كانت السبب في عدم إدراك الحقيقة .

الوقفة السادسة : ذِكْرُ المُفَهْرس صاحِبَ « كشف الظنون » يُوْهِم أنه هو الذي نسب المُخْتَصَر إلى مَنْ سَمَّاهُ ، وهٰذا غير صحيح ، فصاحب « الكشف » لم يذكر سوى مختصر البلبيسي « القبس » الآتي ذكره .

٤ ـ هو « مجمع الأنساب » وليس « القبس » :

ولِعنايَتِي بما له صلة بكتاب الرشاطي « اقتباس الانوار » تطلعت إلى معرفة شيء عن مختصره للبلبيسي إسماعيل بن إبراهيم الكناني الحنفي (٧٢٨/ ٨٠٢ هـ) حين قرأتُ إشارتي ابن حجر والسخاوي عنه[١٦] ، ورأيت صاحب « تاج العروس » يعده بين الكتب التي استمدَّ منها كتابه وسماه « مجمع الأنساب » لأبي الفداء إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي الحنفي[١٧] جمع فيه بين كتابي الرشاطي وابن الأثير ، ولكن العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن اليماني في حواشيه على كتاب « الأنساب » للسمعاني يسميه « القبس »[١٨] فكان ان رأيت في « فهرس المخطوطات المصورة » الذي وضعه الدكتور لطفي عبد البديع ما نصه[١٩] : (٤٥٠ ـ مختصر أنساب الرشاطي ، لإسماعيل بن إبراهيم البلبيسي . . . وأضاف اليه زيادات ابن الأثير على أنساب السمعاني وسماه « القبس » أوله : الحمد لله الذي خلق صنف البشر ، نسخة بخط المؤلف تشتمل على ثلاثة أجزاء) ثم وصف الثلاثة وأضاف : (ومنه نسخة أخرى كتبت

بخط مغربي حديث في القرن التاسع ـ دار الكتب المصرية ٧١٦٥ ح ـ ٩٧ق بها نقص من الآخر) .

غير أنني فُوْجِئْتُ ـ بعد الاطلاع على مصورتي النسختين ـ بأنها لِكِتَابَيْنِ متغايِرَيْنِ ليس كتاب « القبس » أحدهما ، أولهما هو ما سماه صاحب « تاج العروس » بكتاب « مجمع الأنساب » للبلبيسي ، وهو الذي ذكره الشيخ اليماني ، وعول عليه كثيراً في تحقيق أنساب السمعاني ، وكنت قد اطلعت على أصله في (مكتبة رئيس الكتاب) في اصطنبول وصورتْ لي منه نسخة حاولت نقل ما فيها عن الهجري مما نقله البلبيسي عن أنساب الرشاطي ، ورأيته في مواضع يصرح بكتاب له آخر سماه « القبس » و « المختصر » مما يحمل على الجزم بأن ما ورد في وصف مُصَوَّرته في « فهرس المخطوطات المصورة » غير صحيح ، ولو أنَّ الدكتور الفاضل الذي أَعَدَّ الفهرس سار في قراءة المقدمة ـ التي وقف عند إيراد الحمدلة منها ـ حتى ينهيها لا تَّضَح له ذلك فقد جاء فيها : (وبعد : فإني لَمَّا اختصرتُ كتاب أبي محمد الرشاطي ، واستعنت على ضبط بعض الأسماء وأكثر الأنساب بكتاب « اللباب » لأبي الحسن بن الأثير الجزري ـ رحمهما الله ـ وجدتُهما قد اجتمعا على تراجم ، وانفرد كل منهما بأُخَرَ ، وإذا اجتمعَا على ترجمة تارة يتفقان على من سُمِّيَ فيها ، وتارة يختلفان ، فيذكر هذا واحِدًا فأكثر ، ويذكر هذا رجلاً آخر ، ويزيد هذا وينقص هذا وكل من الكتابين يحتاج إليه ، ويعول في هذا الفن عليه ، فأحببت ان أجمع بينهما [ليستغنى الناظر في] هذا الكتاب عن النظر في كتابين كبيرين حجمهما)، ثم تنتهي الصفحة ويليها جذاذات[٢٠] وصفحات لا تتصَّل بها ، فالكتاب يتخلله نقص في كثير من المواضع ، وهذه النسخة هي مسودته ، وقد اتضح مما نقلته أنه أَلَّفَ للجمع بين كتابي الرشاطي وابن الأثير ، وليس مختصر الأول المعروف باسم « القبس » والذي تكرر ذكره في هذه المصورة ومن أمثلة ذلك : .

١ ـ في رسم (. . . . . .)[٢١] ومنهم حلحلة بن البراء بن عُميرة بن وبرة بن ثعلبة ابن غنم بن سُرَيّ بن ثعلبة بن أُنيف ، الذي رفع أبو عمر نسبه وقال : الأنصاري من بني عمرو بن عوف ، وهو وَهْمٌ بَيَّنَ ابنُ الكلبي أنه بالحلف ـ إلى أن قال :

(ذكرته في « القبس » في البلوي) .

٢ ـ وفي رسم (البجلي) قال : (هذا موضع هذه النسبة ، وليس هو موضع المنسوب فإنه مشهور بالسُّلَمِي ، ذكره الرشاطي والسمعاني ، وتبعهما ابن الأثير ، ذكروه هنا فتبعتهم هنا ، وذكرته في « المختصر » هناك والله أعلم) .

٣ ـ وفي رسم (القُرشَيِ) قاف مضمومة وراء مفتوحة وشين معجمة في كتابه : تُبَيَّضُ هذه الترجمة من (المختصر) ان شاء الله .

٤ ـ وفي (المرهبي) : (يكمل من مختصر الرشاطي في هذا الباب) .

٥ ـ وفي (المقري) : (ثم يكتب المَقري ـ بفتح الميم ـ ينقل من (المختصر) من البلدان ثم يكتب (المقعد) ويعنى بكلمة (من البلدان) أن النسبة في كتاب الرشاطي لِلْبُلْدَانِ ترد آخر الباب بعد انتهاء النسبة إلى القبائل .

٦ ـ في (المليحي) : (تكتب هذه الترجمة الى آخرها من (المختصر) ثم يكتب : واستدرك ابن الاثير هذه الترجمة على السمعاني) .

٧ ـ وفي (النجاشي) : (يكمل من « المختصر » ان شاء الله) .

ويبدو أنَّ هذه (المسودة) في المرحلة الأولى من تأليف الكتاب فضلاً عَمَّا في كثير من أوراقها من تقديم أو تأخير قد لا يكون للمؤلف يَدٌ فيه ، إلاَّ أن الاضطرابَ في ترتيب بعض المواد ـ وهو من عمل المصنف ـ فيها كثير فمن الأول : .

١ ـ رسم (الأخباري) ورد بعد (البغدادي) في ورقات ثلاث من حرف الألف .

٢ ـ (الصباغ) بعدها في الصفحة المقابلة (الشهرستاني) وفي الصفحةالتي تليها (الشهيدي) أي بإدخال ورقة من حرف الشين في حرف الصاد .

٣ ـ بعد (السبخي) في صفحة أخرى (باب الزاي والكاف) ثم في الصفحة التي بعدها (باب السين والألف) .

٤ ـ يلي (الزغنداني) رسم (الزماني) وما بين حرفي العين والميم بعد الزاي أُخِّرَ إلى آخر حرف الزاي فوقع اضطراب في مواد حرف الزاي غير هذا .

أما عدم ترتيب المواد فمنه : .

١ ـ بعد (العكاظي) كتب المؤلف في الهامش : (يتلوه إن شاء الله في الكراس العاشر العكاسي ، والصفحة التي بعد هذه لا يُعَوَّل عليها ، ونقلت صورتها في حرف العين والصاد في محلها على الصواب) .

٢ ـ (الخريمي) كتب بعدها : (تقدمت سياقته فينقل إلى هنا إن شاء الله) .

٣ ـ وكثير من التراجم ناقصة ، يبدأ المؤلف بكتابتها ثم يقول (تكمل الترجمة منهما) أو (من عندهما) يقصد كتابي الرشاطي وابن الأثير ، تكرر هذا في كثير من الصفحات وانظر (الهاشمي ، الهذلي ، الهمداني ، الهلالي) أو (النوفلي ، النهدي ، النضيري ، الوهبيلي ، اليمامي) أو يقول : (تكمل إن شاء الله في المبيضة) كما في (الزهري ، الهجيمي ، السلمي ، الخزاعي) وقد يأتي محل الترجمة فيكتفي بقول لا يفيد فيها شيئًا ، كقوله : (الهجري : تذكر هنا ترجمة أبي علي زكريا بن هارون[٢٢] الهجري إن شاء الله تعالى) ثم لم يزدْ .

ليس المفهرس مطالبا بأن يذكر كل ما يتعلق بوصف المخطوطة مما تقدمت الإشارة إلى بعضه ، ولكن مما لا يتمارى فيه اثنان أنه لا بُدَّ من التنبيه عما فيها من نقص ، وعدم الاكتفاء بذكر عدد ورق كل جزء ففي أول الكتاب نقص انخرمت منه بقية خطبته ، ومواد أخرى من حرف الهمزة الممدودة كـ (ألآدمي) و (الآجري) وما بقي من حرف الهمزة كـ (الأبناوي) و (الأبهري) مضطرب وغير مرتب الورق ، وفي مواضع أخرى من النسخة نقص لا يتسع المجال لتفصيله .

ليس من المستبعد وجود نسخةأخرى من كتاب البلبيسي هذا ، فرجوع صاحب « التاج » إليه يفتح الأمل في ذلك ، ومع رداءة هذه النسخة من حيث اضطراب التأليف فيها ، قبل اضطراب ورقها ، وكثرة ما فيها من الإضافات التي كتبت في جُذاذات صغيرة ووضعت في غير مواضعها إلَّا أنَّ من مميزاتها أنها مسودة المؤلف أنهى كتابة الجزء الأول المنتهي بـ (الخيلاني) في شهر شوال سنة ٧٩٦ وأكمل الكتاب سنة سبع وتسعين وسبع مئة ، أي قبل وفاته بخمس سنين ، وهو في كتابه هذا لا يقف عندَ حَدِّ الجمع بين الكتابين ، بل يضيف أشياء كثيرة من

المؤلفات في هذا العلم ،وقد يضيف معلومات ذات صلة به ، ففي كلامه على (القسحَمِي) قال : (ومن ولده مالك بن سويد بن أحْزَه بن قسحم ، له صحبة وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريد . . . وذكرت هذا في الجزء الذي جمعته في الأسماء التي غيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رسم (الزرندي) تَرْجَم العالم المدنيَّ علي بن يوسف بن الحسن الحنفي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ وعَدَّهُ شيخاً له .

وأراني تمادَيْتُ في الاستطراد دفعاً للسأم الناشئ عن جفاف الموضوع .

٥. المختصر عالم مغربي بعد البلبيسي بأكثر من ثلاثة قرون :

ويأتي الحديث عن النسخة الأخرى التي خَالَهَا الدكتور المفهرس كتاب « القبس » فيما تقدم من وصفه .

إن أقلَّ ما يُلِمُّ به الْمَعْنِيُّ بوصف المخطوطات المتشابهة ، المقارنةُ بينها بمطابقة بعض الصفحات ، ويبدُوْ أنَّ الدكتور الفاضل لم يكلف نفسه عناء مثل تلك المطابقة أو المقابلة ، أو لم يقرأ من إحدى النسختين صفحةً ليبحث عما يقابلها في الأخرى ، ولو فعل لأعياه ذالك ، ومن ثَمَّ أدرك تغايُرَهُمَا ، واتضح له اختلافهما ، فالنسخة الأولى من كتاب مرتب على الحروف الهجائية حسب ترتيب (المشارقة) والثانية : رُتِّبَتْ الحروف فيها على الطريقة المغربية ، والأولى في ثلاثة أجزاء تزيد صفحاتها على تسع مئة صفحة ، والأخرى لا يتجاوز عدد أوراقها تُسُعَ وَرَقِ تلك ، وفي هذا ما يستلزم البحث عن أسباب هذا الاختلاف .

إنَّ النسخة الأخرى من كتاب آخر ليس من تأليف البلبيسي ، ومؤلفه عالم مغربي، متأخر عن عهد البلبيسي ـ القرن الثامن ـ بل حتى عن القرن التاسع الذي قرر الدكتور المفهرس أن النسخة من مخطوطاته (كتبت بخط مغربي حديث في القرن التاسع) .

١ ـ قد يكون المفهرس الكريم اعتمد فيما قال على ما قرره آخَرُ قبله ، ولعل هذا الأخير هو الذي عبث حين كتب في طرة الأصل ـ مخطوطة دار الكتب ـ اسم

الكتاب هكذا (قبس الأنوار ، مختصر اقتباس الأنوار) ومن ثَمَّ نُسِبَ الكتاب للبلبيسي ، وقد أُلِّف بعده ففي رسم (الثقفي) نقل عن « فتح الباري » للحافظ أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلاني (٨٥٢/٧٧٣هـ) وابن حَجَر توفي بعد البلبيسي بنصف قرن من الزمان .

٢ ـ الكتاب مغربيٌّ النِّجار تأليفًا وكتابةً واقتناء ، إنه أحد مختصرات كتاب الرشاطي وهو مرتب كأصلْه على الحروف بحسب ترتيبها المغربي (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي) .

وكان الكتاب في المغرب إلى ما قبل ١٣٥ عاماً حيث كتب في طرته (الحمد لله وحده اشترى كاتبه هذا المجلد من سيدي عبد السلام صحبة شيخنا الحمزوي المكي العمري الشرقي بثلاثة مثاقيل بمحروسة مراكش الحمراء في 19 رجب 1276 . . .) .

وكتب أيضاً : (هذا المجلد لعله اختصار . . . الفاسي دفين البقيع المتوفى سنة 1166 . .) .

ومن نصوص الكتاب ما يدل صراحةً على تأخر عَصْرِ مُؤَلِّفِهِ إلى ما بعد القرن الحادي عشر ففي رسم (الأندلسي) ما نصه : (قُلْتُ : وقد جمع زبدةَ تواريخها شيخ شيوخنا الفقيه الأَجَلُّ الأمثلُ أبو العباس سيدي أحمد المقري في أربع مجلدات وسماه «الغصن الرطيب») وفي رسم (المصمودي) ما نصه : (قلت : وذكر شيخ شيوخنا الحافظ أبو العباس احمد بن محمد المقري في « نفح الطيب » بعد أن ذكر التعْريف[٢٣] به وقال : كان العلامة يحيى بن يحيى الليثي معظماً عند الأمراء يُكْنَى عندهم بعفيف الأندلس) انتهى ومعروف أن صاحب « نفح الطيب » توفي سنة ١٠٤١هـ وقد وصفه بأنه شيخ شيوخه فهو لم يدركه ، وإنَّما أدرك تلاميذه الذين عاشوا في القرن الثاني عشر .

وفي الكلام على (الشافعي) قال : (قلت : ولقد زرته مِراراً وحدثني الشيخ الكامل العارف الرباني صاحب الفتوحات العلية والاشارات السنية أبو العباس سيدي احمد المدعو بوشاسا عند انصرافي من عند تربة سيدي الشافعي . .) .

٣ـ أكاد أجزم بأن المؤلف هو الذي وردت الإشارة في طرة المخطوطة إلى أنه (الفاسي المتوفى سنة ١١٦٦) ولو تمكن أحد القراء من قراءة الكلام المتصل بهذه الإشارة مما لم يتضح في التصوير لزادنا به معرفة، فكتاب الرشاطي معروف لدى علماء فاس إلى عصرنا الحاضر، حيث لا تزال الخزانة العامة للمخطوطات في جامعة القرويين بفاس تحتفظ بقطعة منه في ١٩٨ ورقة. وفي تونس قطعة أخرى تحدثتُ عنها في إحدى رحلاتي[٢٤]، ويُسْتَشَفُّ مما تحدث به المؤلف عن مدينة فاس انه من أهلها فبعد ذكره لما يتصف به أهل (التِّبتِ) من السعادة والسرور وأنه لا يزال الإنسان في تلك البلاد ضاحكاً مسروراً لاتعرض له الأحزان قال: (وهذه البلدة على عكس أهل المغرب خصوصاً فاس... فلا تزايلهم الهموم والأحزان في كل زمان وأوان، فلا يتمُّ لهم سرور، مدى الأعمار والدهور، ولقد قال الفقيه القاضي الجليل العلامة النبيل أبو محمد عبد الله بن غازي:

فَاسٌ لَعَمْرِي هِيَ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا ... لَوْ لَمْ يَكُ القَلْبُ فِيهَا ضَيِّقًا حَرَجَا
مَنْ يَنْـجُ (ولم يتضح الكلام في التصوير ....] في مَائِهَا مُـزِجَا

اما ابن غازي هذا الذي ورد ذكره فلا استبعد انه (ابو عبد الله محمد بن غازي) وما وقع في المخطوطة سَبْقُ قَلَمٍ وابن غازي هذا هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (٨٤١/٩١٩هـ) ولد في مكناس الزيتون، ثم انتقل إلى فاس سنة ٨٩١ واستقر بها حتى توفي، وهو عالم مؤرخ فقيه مالكي، له مؤلفات ذكرها الأستاذ عبد الله كنون في ترجمة خاصةبه من سلسلة الرسائل التي ترجم فيها مشاهير العلماء بعنوان (من ذكريات مشاهير المغرب)[٢٥] كما ترجمه الأستاذ خير الدين الزركلي في «الأعلام».

٦ـ ليس ديوان رُؤْبَة بل ديوان أبيه الْعَجّاج:

وجاء في «فهرس المخطوطات المصورة» تصنيف فؤاد سيد ما نصه[٢٦]:

(٥٢٣ ـ شرح ديوان رؤبة بن العجاج: رواية محمد بن حبيب البصري، عن ابن الأعرابي عن أنيف، عن صاحب الديوان، تأليف أبي سعيد الضرير اللغوي، نسخة كتبت بالمدينة المنورة سنة ١٢٨٩ هـ عن نسخة مكتبة الفاتح،

صححت على ابن أخي الأصمعي (دار الكتب ٥١٩ أدب ، ١٣٧ ق) .

لَمْ يَتَوانَ الإِخْوَةُ الأَحِبَّةُ في (معهد المخطوطات) في إكرامي بمصورة مخطوطة يحمل ظاهرها اسم « ديوان رؤبة » ولكنها لا تتفق في وصفها مع كل ما ورد في الفهرس إلَّا بهذه الصفات : .

١ ـ ورقها ١٣٧ وكذا في الفهرس .
٢ ـ مخطوطة سنة ١٢٨٩ هـ ـ في خامس جمادى الأولى .
٣ ـ نقلت عن نسخة صححت على ابن أخي الاصمعي .
٤ ـ عن نسخة (في كتب خانة السلطان محمد الفاتح بمحروسة القسطنطينية) .

ومـا عـداها فهي تخالِفُها ، فليس الكتاب « شرح ديوان رؤبة بن العجاج » رواية محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، وليس تأليف أبي سعيد الضرير اللغوي .

إنه ديوان العجَّاج أبي رؤبة ، فكيف نشأ الخطأ في نِسْبته إلى رؤبة؟ يبدو أن الناسخ كتب خطأ : (هذا ديوان رؤبة العجاج مع شرحه) ثم أدرك خطأه فأضاف كلمة (أبي) وسط حرف نون الديوان وكلمة (عبد الله) قبل كلمة العجاج ، فبدا الاسم في طرة المخطوطة (هذا ديوان أبي رؤبة عبد الله العجاج مع شرحه) ثم كلام عن أصل المخطوطة وجملة يفهم منها أن الكتاب مضاف إلى دار الكتب المصرية في عهد متقدم :(مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضافة في ٢٣ يونية سنة ٨٣ ـ ١٨٦٤٢ نمرة ١٧ ٥ أدب) ثم ختم يظهر أنه ختم دار الكتب القديم .

وأول النسخة بعد البسملة والصلاة على النبي محمد وآله وصحبه :(قال العجاج واسمه عبد الله بن رؤبة بن لبيد ـ ثم سياق النسب إلى عدنان ـ وإنما سمي العجاج لبيت قاله في أرجوزة له حيث يقول : حتى يَعجَّ ثخنا من عَجْعَجَا ، حدثنا الأصمعي أنه لقب بذالك ، قال يمدح عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ وكان عبد الملك رحمه الله تعالى وجَّهه إلى أبي فُدَيْكٍ الحَروري فقتله وأصحابه:

قَدْ جَبَرَ الدِّيْنَ الإِلٰـهُ فجَـبَرْ وعَـوَّر الـرَّحْمٰنُ مَنْ وَلَّى الْعَـوَرْ

قال الأصمعي : في قوله : قد جبر ـ واستمر في شرح البيت .
وآخرها ـ الورقة الـ ١٣٦ ـ في شرح البيت : .

كِلَاهُمَا مُقْتَمِسٌ مَغْتُوتُ   واللَّيْلُ فَوْقَ ٱلْمَاءِ مُسْتَمِيتُ

(والمقتمس المُتوارِي في الماء ، والمغْتوتُ المغيَّبُ فيه ، يقال : غَتَتُهُ في الماء ، ومُسْتميتُ شديد دائم اهـ. تَمَّ رجز العجاج بحمد الله وحسن توفيقه بقلم العبد العاجز الحقير عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي نقلا عن نسخة قد صححت على ابن أخي الأصمعي ، موجودة في كتبخانة السلطان محمد الفاتح بمحروسة القسطنطينية في اليوم الخامس من جمادى الأولى سنة تسعة وثمانين بعد المائتين والألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين) .

أما بقية أوصاف المخطوطة الواردة في كلام ٱلْمُفَهْرِس ، فلم أَدْرِ من أين أتي بها ، إذْ لا وجود لها في المخطوطة و« ديوان العجاج » قام الدكتور عزة حسن بتحقيقه مع الرجوع إلى مخطوطات من أجودها المخطوطة التي كانت موجودة في خزانة كتب السلطان محمد الفاتح . ثم نقلت إلى دار الكتب السليمانية في اصطنبول ، وعنها نُسِخَتْ المخطوطة التي تقدم الحديث عنها وقد رجع إليها المحقِّق ، ودعاها (مخطوطة البغدادي) وقد نشرت وزارة الثقافة السورية هذا الديوان المحقق .

وأما « ديوان رؤبة » فقد حققه المستشرق الألماني (وليم بن الورد البروسي) في « مجموع أشعارالعرب » وطبع في ليبسغ سنة ١٩٠٣م ونشر مُصَوَّراً في (بيروت) سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) عن ابن المجاور، انظر «العرب» س٢٢ ص ٣٨٢
(٢) الجزء الاول: تصنيف فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية سابقاً .
(٣) س ٨ ص ٣٢٤ ـ ج ذي القعدة سنة ١٣٩٣ هـ (كانون أول سنة ١٩٧٤ م) .
(٤) عن الخزاعي هذا انظر «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ج٢ ص٣٧٩.
(٥) «الصلة» لابن بشكوال ج١ ص٢٠٧ و «معجم البلدان» رسم (بلدة) .

←

بارق: نَسَبُها وبلادها

تقع قبيلة بارقٍ في الأغوار الغربية عن بلاد بني شِهْرٍ ، من بني الْحَجْر ، وتبعد عن مدينة أبها عاصمة المنطقة بمئة وأربعين كيلاً، في الاتجاه الغربي الشمالي، وهي من القبائل الأَزْدِيَّة القديمة، بالمنطقة التهامية، التي هجرت مواقعها في سبإ أيام انهيار سَدِّ مَأْرِب، ويقول النسابة محمد بن أحمد الأشعري في كتابه «التعريف بالأنساب» عند ذكره لنسب بني عدي: نسب بني عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر وهم: ألمع وبارق، فأما بَارِقُ فهو ماءٌ بالسَّرَاة، فمن نزلهُ أيام سيل العرم فهو بارقيٌّ، ونزله سعد بن عدي بن حارثة وابْنَا أخيه مالك وشبيب ابنَا عمرو بن عدِي، فسموا بارقاً وذكره أيضاً الحمويُّ نقلاً عن مؤرِّجٍ السدوسي، قال: بارق ←

→ (٦) وعنه ألف كتابا دعوته «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧م) .

(٧) الجزء الثاني ص ١٣٣ .

(٨) «معجم البلدان» رسم (رشاطة) .

(٩) «وفيات الأعيان» ١٠٧/٣ . (١٠) ـ مادة (رشط) .

(١١) «العرب»: س١٧ ص ٤٧١ . (١٢) ـ ص ٤٢ .

(١٣) كابن عطية: عبد الحق الغرناطي (٥٤٢/٤٨١) صاحب التفسير، ولكن الرشاطي رد عليه .

(١٤) «الضوء اللامع» ج١٠ص١٣١ .

(١٥) «فهرس المخطوطات المصورة» ج٢ ص١٣٤ .

(١٦) «إنباء الغُمر، بأَنْبَاءِ العُمر» ج٢ ص ١١٧ : (وله تأليف في الفرائض، واختصر «الأنساب» للرشاطي، وتذكرة فيها فنون كثيرة) وفي «الضوء اللامع» ج٢ ص ٢٨٦ ـ قال: (واختصر الانساب للرشاطي مع زيادات من ابن الاثير وغيره) .

(١٧) مقدمة «تاج العروس» ص ٤ ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٠٤ هـ .

(١٨) الجزء الأول ـ المقدمة ـ ٥ ـ وقد تحدث عنه ايضا في مقدمة «الإكمال» لابن ماكولا .

(١٩) القسم الأول ـ ص ٢٣٤ ـ .

(٢٠) جمع جذاذة ، وريقات صغيرة يستعملها الناسخ لكتابة ما يريد استدراكه من نقص فيها كتب أو اضافة ويسميها بعضهم (طيارات) لعدم ارتباطها بورق الكتابة المكون في الغالب من كراريس متصلة الورق .

(٢١) في ورقة وضعت في غير موضعها ككثير من ورق المصورة، وقد يكون موضعها (الأنيفي) .

(٢٢) الهجري هو : أبو علي هارون بن زكريا ـ لا كما ورد هنا ـ كما أوضحت هذا فيما ألفته عن كتابه «التعليقات والنوادر» .

(٢٣) يقصد يحيا بن يحيا الليثي المحدث المعروف .

(٢٤) انظر «العرب» س١٧ ص ٤٧٣ ـ و «رحلات حمد الجاسر» ـ ص ١٠٨ ـ.

(٢٥) وهي الرسالة الثانية عشرة. (٢٦) ـ ج١ ص ٤٨٩ .